

دراسة مشكلة السنّة والتجديد فى رواية «رباعية الخسوف» لإبراهيم الكونى

مونا ولايى*

سندس كردآبادى**

تاريخ الوصول: ٩٨/١١/١٥

تاريخ القبول: ٩٩/٢/٢٢

الملخص

إنّ مشكلة السنّة والتجديد من المسائل الهامة فى النقد المعاصر الذى يعتبر الأدب ولاسيّما الروايات الاجتماعية أرضية رئيسة لها. إنّ المجموعة القصصية «رباعية الخسوف» لإبراهيم الكونى الروائى الليبى وهى رسّمت القضايا الاجتماعية فى ليبيا. مع أنّ الروائى مال إلى السنّة أكثر ولكنّه نزع إلى التجديد فى بعض الأحيان وينقد التجديد وأبعاده. إنّ العناصر القصصية فى هذه الرواية نحو المكان والزمان والشخصيات و... تخيل إلى المخاطب مفهوم السنّة. استفادت هذه المقالة من المنهج الوصفى- التحليلى للكشف عن الصور السنّة والجديدة فى هذه المجموعة القصصية وتحليلها. يتّضح من النتائج أنّ الظروف الاجتماعية أنّ كالحراء وصبغة حياة البادية وعناصرها كالمعتقدات والرسوم والمشاعل والمهن، طريقة المعاش، القضايا الاقتصادية والإنتاجية إلى جانب التجديد والتحوّلات النهضات السياسية والاجتماعية الناتجة عنها كحضور العدو المستعمر والنفط والأدوات الحديثة والجرائد هى من القضايا التى يوضّح مشكلة السنّة والتجديد بصورة جيّدة.

الكلمات الدليلية: السنّة، التجديد، رباعية الخسوف، التوظيف، الرواية.

* قسم اللغة العربية وآدابها، فرع طهران مركزى، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران.

** قسم اللغة العربية وآدابها، فرع طهران مركزى، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران.

المقدمة

إنّ الرواية حديث الكاتب والكلام المنقول منه بصورة أدبية ترتدى ثوباً لغوياً وتغير المبادئ كاللغة والشخصيات والزمن والمكان والأحداث. فالرواية تتعلّق بالتقنيات كمثل الوصف ونفس القص والحبكة والصراع، وهي كإنتاجٍ في المسرحيات السينمائية حيث أنّ هذه الشخصيات في العرض تعرض منازعة تارة ومنفكة تارة أخرى حتّى يصل النصّ إلى نهايته لطيفاً دقيقاً (متولى وآخرون، ١٣٩٧ش: ٤٢).

إنّ الصلة بين السنّة والتجديد سواء أن تكونا مترادفتين أو متناقضتين فهي من أهمّ العناصر العلمية المعاصرة التي شغلت كثيراً من الباحثين في المسائل العلمية المختلفة لاسيّما في الأدب. إنّ علماء الاجتماع عرفوا هذين العنصرين من منظورٍ خاصّ ويكون الاختلاف في تعاريفهم من حيث الماهية لا من حيث الجوهر والذات.

يرى كيدنز أنّ السنن لها ماهية تاريخية؛ بعبارة أخرى أنّه كثيراً ما نشاهد للسنن جذور تاريخية مع أنّه ليست هذه الجذور التاريخية طويلة جداً، بل إنّ معيار السنّة لديه شيء هو أن يكون ذلك الشيء مكرراً بين أفراد المجتمع. تكون هذه الميزات بين السنن الدينية والاجتماعية لأيّ مجتمع ما (كيدنز ١٣٧٦: ١١٢).

ولكن التجديد تقع أمام السنّة وتشكّل نواته المركزية من "الصيرورة" و"التضاد مع التكرار" وكذلك "التجديد". توافق كثير من المنظرين حول هذه النقطة وهو أن التجديد يعنى الطريقة الجديدة التي تقابل الطريقة القديمة وتنفيها. إنّ شارل بودلر يعتبر هذه الطريقة غير المجدية؛ بعبارة أخرى إنّ التجديد في رأيه هو بمعنى درك ما يبقى من الحياة القديمة بصورة جديدة وعلينا أن نحارب من أجلها (بودلر ١٣٩٤ : ٩٣). فعلى هذا الأساس إنّ التجديد يعنى الهروب من السنّة. والفاصل بين السنّة والتجديد هو "عدم الأهلية للنقد"؛ إنّ السنّة تبنت على المتافيزيا التي لا يدخله أي نقدٍ أو شك، بينما أنّ التجديد يعرضه النقد.

وبذلك لكلّ من السنّة والتجديد أصول ومبانٍ نحو: النزعة إلى العقل وإلى الإنسان، الصناعة، ازدياد قوّة البوليس، الديموقراطية، تنمية وسائل الإعلان الجمعي (فاضلي وحسيني؛ ١٣٩٠: ١٤٣). هناك للسنّة مبانٍ معينة. أهمّ العناصر في السنّة التي تشكّل النواة المركزية هي "المراسيم" و"السنن"، "التعاملات التشريعية"، "محورية الله"، "النزعة إلى

الذات " و"النزعة إلى الجمع" التي تتكرر بصورة عامّة وخاصة (كيدنز، ١٣٧٩ش: ٧٤). ومن منظور علم الاجتماع علينا أن نقول «إنّ المجتمع السنّة يقابل المجتمع الجديدة الصنعتية المدنية» (مارشال ١٣٨٨: ١١٩٦).
فسؤال البحث هو هذا:

- هل تتساوى مظاهر السنّة والتجديد في هذه المجموعة القصصية؟

عرض المقالة

كان إبراهيم الكونى من الأدباء العرب المشهورين والذي تأثر بالأدب الغربى لأنّه كان يعيش فى البلاد الغربى. كانت مجموعته القصصية «رباعية الخسوف» مليئة بالرمز والاستعارة التي تجعل ذهن المخاطب إلى التأمّل للكشف عن هذه الحقيقة، والأهمّ من ذلك جوهرها السنّى هو الوجدان وتعارضها مع السنّة وتبعاتها التي جعلت البحث عن هذه الموضوع أمراً ضرورياً ساقى الباحث إلى الفحص عنها.

خلفية البحث

مع أنّه توجد بحوث كثيرة حول إبراهيم الكونى ولكنّه ما عثرنا على مكتوب يكون حول مظاهر السنّة والتجديد ومشكلتهما. هناك بحوث حول السنّة والتجديد وهى فيما يلى: مقالة «تقابل سنت و مدرنيته پس از انقلاب اسلامى» لمريم هاملى رضايى. استنتجت هذه المقالة أنّه أصبحت تيار السنّة والتجديد بعد الثورة الإسلامية الإيرانية من الموضوعات الهامة التي نراها فى كثيرٍ من الروايات التي ترسم لنا تبعاتها. المقالة الأخرى التي عنوانها «گذار از سنت به مدرنيته در داستان طعم گس خرمالو زويا پيرزاد»، ل احمد مگى والآخرين. أشار المؤلفون فى هذه المقالة إلى أنّ اليوم قد أذهلت السنّة وتبعاتها وقد استولى التجديد ومظاهرها على حياة الناس.

السنّة؛ الماهية والتوظيف

إنّ كلمة «السنّة» فى العربية جمعها "السّنن" وهى من مادة "س-ن-ن" بمعنى الجريان الهادئ للماء أو المسير المباشر لنزول المطر.

وفى مجال المعنى الاصطلاحي لهذه كلمة يقول ماكس وبر: «مجموعة من المعتقدات التى تنقل من جيلٍ إلى جيلٍ آخر» (وبر، ١٣٥٩: ١٣)؛ فإذن ليست السنّة بمعنى "اعتقاد واحد" يكرّر ويدوم عبر التاريخ. الميزة البارزة للسنّة هى النزعة إلى الذات؛ بعبارة أخرى يجب أن نقول «إنّ تابعى السنّة لهم نزعة إلى الذات؛ والسنّة بهده الإبهام والاختلاف لها ذات يقابل التجديد بجميع أشكالها وأنواعها» (نصر، ١٣٦٨: ١٨٢)؛ فعلى هذا الأساس يكون أهمّ معايير السنّة هى النزعة إلى الذات والجمع والتقدير.

التجديد؛ الماهية والتوظيف

إنّ كلمة التجديد / Modern تقابل السنّة / Tradition. إنّ ما يعادل هذه الكلمة أكثر فأكثر التى ما أشار إليه النقاد بصورة مباشرة هو "التحوّل"؛ لأنّه يشمل جميع هذه المفاهيم المذكورة. «استعملت هذه الكلمة للمرّة الأولى فى مؤلّفات جان جاك روسو وبعده فى مؤلّفات الكثير من الكتاب والمفكرين فى عصر الازدهار الفكرى وعصر الرومنتيكية» (وثوقى، ١٣٧٦: ١٤٣). فى مجال المفهوم الاصطلاحي للتجديد يمكننا أن نقول هو عصر يكون ميزته الرئيسة التحوّلات الدائمة (نوذرى، ١٣٥٤: ٧٩). عرف هيجل هذا المصطلح من الناحية الفلسفية مع تحليلٍ دقيقٍ وظريفٍ حيث قال: «إنّ التجديد هو جعل النفس بصورة واعية فى التاريخ واليقين الواعى بالهوية وموقع النفس فى التاريخ حيث يتخذ أشكالاً متفائلةً أو متشائمةً» (وثوقى، ١٣٧٦: ١٤٣). يجب الإذعان إلى أنّ التجديد كالسنّة له ما يوافقه وما يخالفه (وثوقى، ١٣٧٦: ١٤٣). يتحدّث موافقو التجديد من مزايا هذه النزعة ومخالفوه يعتقدون أنّ هذه النزعة لها آثار سلبية أكثر من أىّ خدمة أخرى، نحو توليتاريسم، الابتعاد عن الذات، الاستعمار والاستثمار (فاضلى، ١٣٩٩: ١٦٣).

حياة إبراهيم الكونى ونزعتة الأدبية

وُلد إبراهيم الكونى سنة ١٩٤٨م فى "غامادس" فى بلاد ليبيا. مضى المرحلة الابتدائية فى "غامادس" والمرحلة الثانوية فى "بها" والمرحلة المتوسطة فى "مسكو" (الكونى، ٢٠٠٥م: خلف الغلاف).

انتسب إلى قبيلة الطوراق التى كانت فى شمال إفريقيا من ليبيا إلى مويتانيا حتّى بلاد نيجر. كانت تشتهر هذه القبيلة بأنّ رجالها اشتهروا باستعمال القناع حيث كانت

ناسؤهم دون أى قناع أو لثام، وهذا ممّا أثار فى مؤلفاته (موقع ليبيا اليوم: www.libya.alyom.com).

كانت روايات إبراهيم الكونى تصبغ بصبغة اجتماعية أكثر من أى شىء آخر. كان هذا الروائى يعرض تحليلاً دقيقاً من مجتمع ليبيا عبر توصيفه للحياة وشخصيات الرواية، وما فيها من التضاد وحتى الحقارة الموجودة فيهم. تكون الشخصية حصيلة الظروف المعينة. يكون الإنسان فى مؤلفاته ظاهرة اجتماعية بتمامه ويسعى أن يمنح أبطال روايته الميزات الفردية (بدوى، ٢٠٠٣م: ٢٨٧). إن أهمّ ميزة إبراهيم الكونى هى طريقته الخاصة فى ترسيم مجتمعه وهو أتبع طريقةً مختلفةً عن الروائيين المعاصرين الآخرين. كان يركز فى رواياته على عنصر الصحراء وهو الذى تعرّض للنسيان فى الأدب العالمى، وله خيالٌ وسيعٌ يختلط مع بيان قوى وجميل وأسلوب فريد فى كتابة القصص العربية. أبدع هذا الروائى لغةً مختلفةً فى رواياته بمساعدة التركيز على الصحراء، وتنطبق هذه اللغة على ثقافة الصحراء وعناصرها لاسيّما الإنسان، وبذلك منح هذا الأسلوب منزلةً ممتازةً (نوحه گر، ١٣٩٤: ٨٢). إن نزعة إبراهيم الكونى الخاصة فى رواياته هى مقابلة السنّة والتجديد وهو يتبع فى مجموعته القصصية نزعتين؛ «الأولى النزعة القيّمة إلى الصحراء الحياة البدوية، والثانية انعكاس الفوضى، التخلف، المعضلات والألام التى تحمّل على الناس من جانب المستعمرين والحكام» (جلالى، ٢٠١٨م: ٥٦).

مشكلة السنّة والتجديد

إنّ عنصرى السنّة والتجديد تعتبران محورين رئيسيين فى مؤلفات إبراهيم الكونى لاسيّما فى رواية «رباعية الخسوف». كان ذا نزعة سنّية فى رواياته وكان ينقد التجديد ومظاهره. ففىما يلى ندرس هذه الرواية من منظور السنّة والتجديد.

السنّة ومظاهرها

كما قلنا فيما مضى أنّ السنّة هى مجموعة من المعتقدات الثابتة التى يقبلها كثيرٌ من الناس، فعلى هذا الأساس يمكن دراسة السنّة فى هذه المجموعة القصصية تحت المحاور العقائدية التالية:

أ.السحر والنزعة إليه

إحدى المعتقدات الهامة في هذه المجموعة القصصية هي "الاستحضر"، والاستحضر نوعٌ من المكاشفة والحصل على الحقيقة المجهولة التي تتم بواسطة طفلٍ. حيث أنَّ الشيخ "غوما" الذي لا يتعتقد بالسَّحر والأرواح، بعد أن غاب "اماستان" عن الأنظار، توسَّل إلى أمِّته السوداء حتى يعرف محلَّ "اماستان".

«لقد فهمت، تقصد الاستحضر! استحضر الغائب! لقد سمعت أن الشرط الأول هو صبية صادقة وطاهرة وكنت أفكر في زارا ابنة باتا لإستحضار طرق و أساليب عديدة، طريقة الصبية الصادقة من ضمنها طبعاً. وهناك تجمع النساء عند قبور الأولين ليلاً وهناك طريقة الطفل الصادق»(الكوني، ١٩٩٨م: ٨٢).

اختارت الأمة الأيسر لهذا الأمر، وهي أيضاً تخبرهم بأماستان. في هذا المجال تظهر ظاهرة السَّحر في شخصية الأمة السوداء والشيخ غوما، مع هذا الاختلاف في أن في العصر المعاصر يكون تفكَّر النَّاس بصورة فيزيائية وصارت الظواهر المتافيزيائية والنزعات السنّية أقلَّ تأثيراً.

ب.الخرافة والنزعة إليها

إحدى المحاور السنّية في المجموعة القصصية لإبراهيم الكوني هو النزعة إلى الخرافة التي ظهرت بصورة واضحة. «إنَّ إيراد الخرافة والأسطورة في القصة والرواية يعتبر مقابلةً للتجديد. وهو سارع إلى الخلف ولعب مع العناصر المنسية للحياة اليومية وأورد الخرافات والأساطير حتى يخلق منها قصصاً ويضمّن لها حياتها بدلاً عن العناصر الحديثة(يوسف آبادي، ١٣٥٩: ٣١).

يمكن أن نرى إحدى هذه الخرافات في قصّة «الواحة»، حيث يعتبرُ "الذَّهَب" بعنوان "ملك الأجنّة" حيث جاء في الرواية هكذا:

«لأن الذهب ملك للجن و... وسوف يعود إليهم في النهاية، طال الزمن أم قصر... لكن العثور عليها يستدعي مصارعة الجن. والصراع مع الجن مغامرة تحتاج الى الشجاعة وعدد الذين هلكوا في مثل هذه المعارك، لا يحصى ومن لم يهلك منهم فقد البصر أو أصابه الشلل...»(الكوني، ١٩٩١م: ٦-٩٥).

إنّ ما يعتبر من الخرافات في هذا النموذج بالقياس مع النزعة العقلية المعاصرة هو مالكية الأجنّة وسلطتها على الصحراء. ولكن هناك تعيّن لوجود الأجنّة في بعض الأديان لاسيّما دين الإسلام، ولكن مالكيّتها بالنسبة للذهب الموجود في الصحراء نوعٌ من الاعتقاد بالخرافة. سعى إبراهيم الكونى أن يعطى قصصه مظهراً جديداً باستعانة الخرافة والأسطورة. من الجدير بالذكر أنّ النزعة إلى الخرافة تعتبر من المحاسن المذهبية التي يعده البعض من الميزات السلبية للدين.

ج. الاعتقاد بالله

إحدى المحاور الاعتقادية في هذه الرواية هي الاعتقاد بالله حيث نرى في المواضيع العديدة من الرواية المدروسة، نحو «اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. كف بالله والعن الشيطان! قبض الشيخ على المسبحة في راحة يده اليسرى. قبض عليها لحظات ثم رسها في جيبه» (الكونى، ١٩٩١م: ١٠٦).

نستطيع أن ندرك مدى اعتقاد الشيخ غوما بالله، ومن جانب آخر إنّ المسبحة تدلّ على هذا الاعتقاد وتعدّ من مظاهره ونحن نراها في هذه المجموعة: الرجل إذا بلغ سن الرشد احتاج الى رفيقة، هذه سنة الله في المخلوقات... خلق من كل كائن زوجين: ذكراً أو أنثى. في الإنسان والحيوان و الشجر... كلنا مررنا بهذه المرحلة ولولاها لما جئنا الى الدنيا...!

إنّ الزوجية أيضاً من القضايا الهامة التي لها مرتبة عالية في الفلسفة الإسلامية، حيث ربط البعض فلسفة الخلق إلى هذا الأمر. خصّص القرآن الكريم بعض الآيات بالزوجية بين الخلاق وهذا ممّا يدلّ على صحبة هذا المدعى؛ فعلى سبيل المثال يقول في سورة النبأ: ﴿وخلقناكم أزواجاً﴾ (النبأ/ ٨) وفي سورة الذّاريات ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ (الذّاريات / ٤٩).

فعلى أساس ما سبق نستطيع أن نستنتج أنّ الشخصيات في هذه المجموعة القصصية لاسيّما الشيخ غوما، اقتدوا بالسنّة الإلهية في أعمالهم طوال الحياة. إضافةً على هذا أنّ الصلاة أيضاً تعدّ من المظاهر الإلهية التي نراها في هذه المجموعة القصصية. في موضع آخر نرى بأنّ الشيخ غوما يلزم حفيدته "آيس" على الصلاة، حيث قال: غوما الآن يلزمه أن يستيقظ مبكراً ليؤدى معه صلاة الفجر... (الكونى، ١٩٩١م: ١٦٤).

د.سلطة الأب

إحدى مصاديق النزعة إلى السنّة التي نراها في هذه المجموعة القصصيّة هو استيلاء الرجل وسطوته على المرأة أو ديكتاتوريته في المنزل. نرى المظهر البارز من هذه الميزة في شخصية "غوما" وتعامله. كان الشيخ "غوما" رئيس القبيلة والأخ الأكبر لـ "أماستان" الذي كان يقصد الزواج مع فتاة مسماة بـ "تارات" من قبيلة العدو هي قبيلة "كيل آباد"، ولكن لم يوافق غوما أبداً، حيق كان يكرّر مخالفته بهذا الزواج من بداية القصة حتّى نهايتها. «إن أخاك غوما ولى أمرك هو شيخ القبيلة ورأيه نافذ ومسموع أنه لن يوافق» (نفس المصدر: ٧١).

التجديد ومظاهره

استناداً إلى ما نشاهد في طريقة الكتابة عند إبراهيم الكوني يمكن أن نقول أنه كان ينزع ذلي السنّة؛ إذ نرى في المواضيع العديدة من روايته «ملاح السنة» وكان ملزماً بها؛ لذلك إذن تحدّثنا عن التجديد في هذه المقالة ليس مرادنا نزعتّه إلى التجديد بل نقصد انصرافه عن التجديد ومشكلته معه. فعلى هذا الأساس يكون التجديد في مؤلّفاته النقطة المقابلة للسنّة التي لا يزال يتعارض الروائي معها؛ لاسيّما أنّ وطنه كان تحت همجمة العدو واستعمارهم وهذا ممّا أدّى إلى يتخذ التجديد موضعاً سلبياً بجميع أبعاده في مؤلّفاته هذا الروائي.

يمكن تلخيص مظاهر الاستعمار في هذه المجموعة القصصية لإبراهيم الكوني في المحاور التالية:

أ.الاستعمار

يعتبر الاستعمار من تبعات التجديد في القرون الأخيرة، حيث صار كثير من البلدان الآسيوية التي لها المعادن الغنيّة تحت الأرض كطعميّة للبلدان المستعمرة نحو إنكليز وفرنسا... التي لها الإمكانيات الحديثة. كان ليبيا الذي يعدّ من مستمرات فرنسا في بعض السنوات جعل إبراهيم الكوني أن يرسم الصورة غير الشرعية للاستعمار أمام المخاطب:

«أستغفر الله، لم يخطر ببالي أن أفعل ولكن نيتهم فى غزو الصحرا ومدينة، أنهم ينوون أن يستخرجوا من باطن الصحراء سائلا جهنميا اسمه النفط... النفط؟ نعم، يقال (إنه سائل... وتستخرج منه مواد... منها بنزين السيارات)» (الكونى، ١٩٩٠م: ٩٧).

بعد قليلٍ من التأملٍ فى التعابير الماضية نستطيع أن ندرك أن البلدان العربية لاسيما ليبيا التى لها الذخائر النفطية الغنية سببت إلى سلطة المستمرين على هذه البلدان ذات الموقع الحساس. يعتبر النفط من تبعات التجديد الذى أصبح ذا أهمية بالغة بعد التجديد توسيع الصنعة، وتوفّر الأرضية المناسبة للاستعمار فى كثيرٍ من البلدان العربية نحو ليبيا، لبنان، سوريا وبعض البلدان فى الشرق الأوسط.

يجب أن لا ننسى بأنه كان إبراهيم الكونى يعرف الدين كذريعةٍ للاستعمار أى الغرب التى توقّرت الأرضية للاستيلاء على الغرب والشرق.

«هى معتقدات كونها فى أذهانهم المبشرون البلهاء... لا طمعا فى المسيح ولكن طمعا فى خيرات القارة... فوجد منهم من تخلى عن دينه وأعتنق الإسلام كى يذر الرماد فى عيون السكان المحليين ويكسب ثقتهم حتى إذا مد يده الى الكنز وحالفه الحظ فى الإستيلاء على الذهب نزع العمامة وحرق الجبة...» (نفس المصدر: ٥٦).

حسب التعابير المذكورة يمكن أن ندرك أن إحدى الميكانيزمات التى استخدمها الاستعمار للسلطة على البلاد الشرقية هو النزعة إلى الدين؛ حيث كان يرسلُ فريقاً خاصاً إلى بلدٍ ما كأجيرٍ وهم كانوا ينكرون مذهبهم ودينهم وقبلوا مذهب ذلك البلد للحصول على ما كان عندهم من رؤوس الأموال والذخائر والمنافع. وبعد الحصول على منافعهم المالية، كانوا ينزعون جبة الدين ويحرقونها.

ب. الصنعة

إحدى مظاهر التجديد التى نراها فى كتابات إبراهيم الكونى بصورة ملموسة وواضحة هو حضور بعض من الإمكانيات الحديثة نحو آلية الجريدة و... على سبيل المثال يكون الأسفلت من الإمكانيات المربوطة بالطريق وهو أبداعٌ فى العصر الحديث بعد الاكتشافات النفطية، وهذا يظهر للمخاطب فى زمنٍ كان أحد الشخصيات الشابة فى المجموعة القصصية المدروسة يعنى منصور يقيس بين الطريق الصحراوية والطريق المدنية:

«ياه، هذا الأسفلت تجرى السيارة، كأنها واقفة لا تتحرك، ياه، إنه طريق لا يشبه طريقنا الذى نقضى العمر فى الصحراء معه. حقا أن العمل فى الطرق مثل طرق الواحات هو الجنون» (الكونى، ١٩٩١م، ٣: ٧١).

نرى فى هذا المجال من القصة أن الفاصلة بين السنّة والتجديد أعمق إلى حدّ ما وتصير النزعة إلى التجديد ومظاهره أشدّ لونا. ولكن يجب الإذعان بأنّ هذا المفهوم يظهر بين بعض الشخصيات الشابة نحو منصور وأماستان و... بالنسبة إلى الشخصيات المعمّرة فيها.

إحدى مظاهر التجديد فى مؤلّفات الكونى هو السيّارة التى تكون إحدى منتجات الغربيين (نوذرى، ١٣٩٧: ١١٩). إنّ وسائل الحمل والنقل والكشف التى تعتبر من الإمكانيات الحديثة أيضاً وردت فى بطن الرواية وترسم زاوية من حياة الإنسان المعاصر. يكون الشيخ غوما رمزاً للسنّة والجدل مع التّجديد، وفى نهاية الأمر وردت المدينة وقبّلت هذه الحقيقة وهى أنّ من الواجب استخدام الإمكانيات الحديثة للوصول إلى الأهداف الاجتماعية، فبهذه الطريقة يذهب إلى المدينة مع الشيخ خليل حتى يُجيرا سيّارة. «الشيخ غوما يرتدى أوفر ملابسه فيمشى أهر على يمينه وخليل على يساره يتهدى فى السوق كالطاووس ليوجر أول سيارة متجهة الى عاصمة الصحراء...!» (الكونى، ١٩٩١م، ٣: ١٢٥).

إنّ مهنتى السياقة والاكتشاف أيضاً تعتبران من مظاهر التجديد التى نراها فى بعض المواضع من هذه المجموعة القصصية لإبراهيم الكونى. فى زمن لم تدخل سيّارة جديدة فى الصحراء، كانت مهنة أكثر الناس فى الواحة الزراعة والرعى و... حتى دخلت السيّارة والوسائل الاكتشافية الصحراء؛ فبهذه الصّورة استُخدم كثير من الناس على صفة "السائق"، "الرئيس"، "الحقار" و... فى شركات المدينة. اتضح الروائى هذه القضية فى القصة الثانية أى "الواحة" بصورة واضحة:

«أعضاء القبيلة المهاجرين الى الواحات الأخرى وانخرطوا العمل بالشركة كسائقى سيارة لاندروفر أو شاحنات أو مجرد عمال» (الكونى، ١٩٩١م، ٣: ٣١).

فبهذه الصّورة تجددت بيئة الصحراء المائلة إلى السنّة، وانصرفت إلى الاستفادة من الإمكانيات الحديثة حسب حاجتها ومستوى معاش الناس وثرواتهم. هذا الأمر يظهر قدرة

التجديد واستيلائه الذى سحبَ كثيراً من المجتمعات السنّية إلى نفسه وجعلَ تابعى السنّة أن يزلزلوا فى معتقداتهم ويخضعوا أمام سطوته.

نتيجة البحث

اهتماماً بما قيلَ فى نقد المجموعة القصصية المدروسة فى هذه المقالة أى «رباعية الخسوف» لإبراهيم الكونى، يمكننا أن نستنتج ما يلى:

تابعَ إبراهيم الكونى فى كتاباته لاسيّما فى المجموعة القصصية المسماة بـ«رباعية الخسوف» نزعتين؛ النزعة الأولى هى السنّة التى تتشكّل أرضية القصّة؛ حيثُ تكون الشخصيات النامية للقصّة نحو الشيخ غوما والشيوخ الآخرين للقبيلة الذين وضعوا أصول السنّة والمعتقدات الدينية نصبَ أعينهم وتمسكوا بمبانيها ودعوا الآخرين إليها. إضافةً إلى المسألة الاعتقادية اهتمّ الروائى بالسنّة الأدبية وبنى بنية قصصه بمظاهر السنّة نحو البئر والصحراء والواحة؛ فلذلك يمكننا أن نقول أن الصبغة الغالبة على قصة إبراهيم الكونى هى النزعة إلى السنّة مع الصبغة الاعتقادية والأدبية.

من منظور التجديد أيضاً صوّر إبراهيم الكونى موضعين أمام المخاطب؛ الموضع الأوّل هو الإشارة إلى النتائج السلبية للتجديد نحو الاستعمار والاستثمار اللتين ظهرتا فى العصر الحاضر وأوقع بعض البلدان الإفريقى نحو ليبيا والبلدان الواقعة فى الشرق الأوسط فى شرك الاستعمار.

ومن ناحيةٍ أخرى قد يرسمُ التبعات الإيجابية للتجديد كالصنعة والبناء والأسفلت والسيارة و... للمخاطبين، ومن الجدير بالذكر أن النزعة إلى تبعات التجديد تستنتج من جبر البيئة وهو ما أشار إليه الروائى فى قصصه.

المصادر والمراجع

- الأنصاري، عمر. ٢٠٠٦م، **الرجال الزرق: الطوارق الأسطورة والواقع**، ط ١، بيروت: دار الساقي.
- برمن، مارشال. ١٣٨٠ش، **تجربه و مدرنيته**، ترجمه مراد فرهادپور، تهران: طرح نو.
- بودلر، شارل. ١٣٩١ش، **گل های رنج**، ترجمه: محمدرضا پارسايار، چاپ اول، تهران: هرمس.
- الكوني، ابراهيم. ١٩٩١م، **رباعية الخسوف، أخبار الطوفان**، ط ٢، ليبيا: دار الطاسيلي للنشر والإعلام، ودار التنوير للطباعة والنشر بالمغرب.
- الكوني، ابراهيم. ١٩٩١م، **رباعية الخسوف، البئر**، ط ٢، ليبيا: تاسيلي للنشر والإعلام، ودار التنوير للطباعة والنشر بالمغرب.
- الكوني، ابراهيم. ١٩٩١م، **رباعية الخسوف، الواحة**، ط ٢، ليبيا: تاسيلي للنشر والإعلام، ودار التنوير للطباعة والنشر بالمغرب.
- الكوني، ابراهيم. ١٩٩١م، **رباعية الخسوف، نداء الوقواق**، ط ٢، ليبيا: تاسيلي للنشر والإعلام، ودار التنوير للطباعة والنشر بالمغرب.
- گيدنز، أنتوني. ١٣٧٦ش، **جامعه شناسي**، ترجمه: منوچهر صبوري، تهران: نشر نی.
- محسنی، منوچهر. ١٣٨٦ش، **بررسی در جامعه شناسی ایران**، تهران: پژوهشگاه فرهنگ، هنر و ارتباطات.
- میرصادقی، جمال. ١٣٨٤ش، **بادهای خبر از تغییر فصل می دهند**، تهران: اشاره.
- نصر، سیدحسین. ١٣٨٥ش، **معرفت و معنویت**، ترجمه انشاءالله رحمتی، تهران: سپهروردی.
- النصير، ياسين. ١٩٩٦م، **الروايي والمكان، الموسوعة الصغيرة، منشورات الثقافة والاعلام**.
- نوذري، حسينعلي. ١٣٧٩ش، **صورت بندی مدرنيته و پست مدرنيته**، تهران: نقش جهان.
- وبر، ماكس. ١٣٦٧ش، **مفاهيم اساسي جامعه شناسي**، ترجمه احمد صدارتي، تهران: نشر مركز.
- وٹوقی، منصور و علی اکبر نیک خلق. ١٣٧٦ش، **مبانی جامعه شناسی**، تهران: خردمند.
- یوسفی اشکوری، حسن. ١٣٧٩ش، **شریعتی و نقد سنت**، تهران: یادآوران.

المقالات والرسالات الجامعية

- اشرف نوحه گر، اکرم. ١٣٩٤ش، «بررسی و تحلیل عناصر داستانی رمان «اهل غرق» منيرو روانی پور و رمان «الورم» ابراهيم الكونى»، استاد راهنما: محمد حسين سرداغی، دانشکده علوم انسانی، دانشگاه بین المللی امام خمینی.
- اکبری زاده، فاطمه و محمد طیبی. ١٤٣٥ق، «حواریة اللغة في روايات ابراهيم الكونى»، مجلة دراسات في العلوم.

بدرى، احمد الناوى. ٢٠٠٣م، «خصوصية تشكيل المكان فى آثار إبراهيم الكونى؛ الروائية الرباعية نموذجاً»، مجلة فصول للنقد والأدب، المجلد ٦٢، العدد ١، صص ٢٨٦ - ٣٠١.
ستقوفة، علال. ٢٠٠٨م، «مخيال الصحراء فى روايات إبراهيم الكونى»، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص اللغة العربية وآدابها، الجزائر.
فاضلى، مهبود و حسيني، فاطمه سادات. ١٣٩١ش، «سنت و مدرنيته در رمان همسايه‌ها»، فصلنامه علمى پژوهشى زبان فارسى، ش ٢٧.
متولّى، حديثه و ليلا قاسمى حاجى آبادى و طاهره چالدره. ربيع ١٣٩٧ش، «دراسة الخطة فى رواية "الزمن الموحش" من حيدر حيدر»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، السنة العاشرة، العدد السابع والثلاثون، صص ٦١ - ٨١.

Bibliography

- Al-Ansari, Omar, (2006), the Flashy Men: The tuareg myth and reality, 1st edition, Beirut, Dar Al-Saqi (mentioned in the text)
- Ashraf Nohegar, Akram, (2015) (Study and Analysis of Story Elements of the Novel "Ahl-e Gharg" by Monira Ravanipour and the novel "Al-Oram" by Ibrahim Al-Kouni, Supervisor: Mohammad Hossein Sardaghi, Faculty of Humanities, Imam Khomeini International University
- Akbari Zadeh, Taibi F. M., (2014) "Dialogue of language in the novels of Ibrahim Al-Koni", Journal of Studies in Science
- Al-Nusair, Y.; Valley and place, Small Encyclopedia, 57, Culture and Media Publications, 1996
- Badri, Ahmed Al-Nawi, 2003, "The Specificity of Space Formation in the Effects of Ibrahim Al-Kouni; The Quaternary Novel as a Model" Fasoul Journal for Criticism and Literature, Volume 62, Issue 1, pp. 286-301
- Berman, Marshall, (2001), Experience and Modernity, translated by Morad Farhadpour, Tehran, Tarh-e no publication
- Baudelaire, Charles, (2012), translated by Mohammad Reza Parsa Yar, first edition, Tehran, Hermes publication
- Fazeli, M. and Hosseini, F. (2012), Tradition and Modernity in the Novel of Neighbors, Quarterly Journal of Persian Language Research, No. 27
- Alkawni, Ibrahim (1991) (Al-Wahah), Eclipse 1, 2nd edition: Al-Tanweer House for Printing and Publishing
- Alkawni, Ibrahim (1991) (Al-Wahah), Eclipse 2, 2nd edition: Al-Tanweer House for Printing and Publishing
- Alkawni, Ibrahim (1991) (Al-Wahah), Eclipse 3, 2nd edition: Al-Tanweer House for Printing and Publishing
- Alkawni, Ibrahim (1991) (Al-Wahah), Eclipse 4, 2nd edition: Al-Tanweer House for Printing and Publishing

- Giddens, A. (1997) *Sociology*, Translation: Manouchehr Sabouri, Ney Publishing
- Moin, M. (1959) *Mazdisna and Persian Literature*, 2 vols. 2nd Edition, Tehran: University of Tehran Press
- Mohseni, M. (2007), *A Study in Iranian Sociology, Research and Culture, Art and Communication*
- Mirsadeghi, J. (2005) *Winds announce the change of seasons*, Tehran, Eshareh publication
- Nasr, S. H. (2006), *Knowledge and Spirituality*, translated by Insha'Allah Rahmati, Book and Publishing Office, Suhrawardi, No. 182
- Nozari, H. (2000), *Formulation of Modernity and Postmodernity*, Tehran, naghsh-e Jahan publication
- Stoufla, Allal, *Imagination of the Desert in Abraham Al-Kouni's Novels, (Deleting a Memorandum Provided for a Doctorate Degree, Arabic Language and Literature)*, Algeria, 2008
- Vosoughi, M. and Nikkhalq, A. (1997) *Fundamentals of Sociology*, Tehran, Kheradmand publication
- Weber, Max, (1988), *Basic Concepts of Sociology*, translated by Ahmad Sadrati, Tehran, Markaz press
- Yousefi Eshkevari, H. (2000) *Shariati and Critique of Tradition*, Tehran, Yadavaran press

بررسی چالش سنت و مدرنیته در رمان «چهارگانه خسوف» از ابراهیم الکوئی

مونا ولایی*

سندس کردآبادی**

چکیده

چالش سنت و مدرنیته از مؤلفه‌های مهم نقد معاصر است که بستر اصلی آن ادبیات و به ویژه رمان‌هایی است که عموماً صبغه‌ای جامعه‌شناختی دارند. مجموعه داستانی «چهارگانه خسوف»، نوشته ابراهیم الکوئی نویسنده لیبیایی تبار است که در آن بسیاری از مسائل و رخدادهای اجتماعی کشور خود را به تصویر کشیده است، گرچه گرایش غالب وی در این مجموعه داستانی به سنت میل دارد، ولی گاهی نیز بارقه‌هایی از مدرنیته در نگاشته‌های وی به چشم می‌خورد و عموماً مدرنیته و ابعاد آن را به چالش نقد می‌کشد. عناصر داستانی او از مکان و زمان گرفته تا شخصیت‌ها، مفهوم سنت‌گرایی را در ذهن مخاطب متبادر می‌سازند. این جستار با تکیه بر رویکرد توصیفی-تحلیلی بر آن است تا تصاویر سنت‌گرا و مدرن این مجموعه داستانی را شناسایی و مورد کند و کاو قرار دهد. نتایج این بررسی نشان می‌دهد که شرایط جغرافیایی صحرا و رنگ و بوی زندگی بومی و عناصر آن از جمله مسائلی است که چالش سنت و مدرنیته را در این اثر به خوبی نمودار می‌سازند.

کلیدواژگان: سنت، مدرنیته، چهارگانه خسوف، کاربرد، رمان.

* گروه زبان و ادبیات عربی، واحد تهران مرکزی، دانشگاه آزاد اسلامی، تهران، ایران.

** گروه زبان و ادبیات عربی، واحد تهران مرکزی، دانشگاه آزاد اسلامی، تهران، ایران.